مسكوكات مملكة تدمر

فرج الله أحمد يوسف

ملخّص: يمكن تقسيم المسكوكات التدمرية إلى نوعين، الأول: مسكوكات محلية، من المرجّح أنها ضُربت في تدمر، وهي مصنوعة من البرونز، وتنقسم بدورها إلى قسمين: مسكوكات ليس عليها كتابات، نُقش على أحد وجهيها رسم لأحد المعبودات وعلى الوجه الآخر رسم لمعبود آخر أو لحيوان أو شجر؛ والثاني: فنقش على وجهه اسم تدمر (بالميرا أو هدريانا)، وعلى الظهر رسم لأحد المعبودات. أما النوع الثاني من المسكوكات التدمرية فهي مسكوكات دولية كانت متداولة في مملكة تدمر وخارجها. وترجع المسكوكات المعروفة حتى الآن إلى عهد الملك وهب اللات ووالدته الملكة الزباء (زينب - زنوبيا)؛ وقد ضربت هذه المسكوكات في ثلاثة أماكن، في ضوء ما وصلنا، وهي: أنطاكية، وحمص، والإسكندرية. وقد سُجلت الكتابات على المسكوكات المضروبة في أنطاكية، وحمص بالخط اللاتيني، أما المسكوكات المضروبة في الإسكندرية فسُجلت بالخط اليوناني. يعتمد البحث على المسكوكات التي اكتشفت في تدمر خلال الفترة ما بين سنتي ١٩٧٠ إلى ٢٠٠٣م، وهي محفوظة في متحف تدمر، والمتحف الوطني بدمشق.

Abstract: *Palmyrene coins can be divided into two main categories. The first, itself divided into two as well, is the local coins. These are divided into: 1) Local coins, most likely issued in Palmyra of bronze, that bear no inscriptions on either side. However, a deity is engraved on one side; on the other is drawn another deity, animal, or a tree. 2) Local coins that bear on the obverse the inscription of the name of Palmyra or Hadriana and on the reverse the image of a deity. The second category are the international coins that were in circulation within and outside Palmyra. All known coins till now date back to the reign of King Wahballat (Vaballathus) and his mother Queen Zenobia (Zaynab—al-Zabbā). Coins of this category were issued in three different places: Antioch, Ḥomṣ (Emesa), and Alexandria. In Latin were the inscriptions on those issued in Antioch and Ḥomṣ, but in Greek were the inscriptions on coins issued in Alexandria. This paper is limited to coins discovered over the period from 1970 to 2003 and housed in the Palmyra Museum and the National Museum in Damascus-*

تدمر هبة (أفقا)، وهو النبع غزير الماء، الذي جعل منها واحة غنّاء وسط بادية الشام. أما موقعها على مفترق الطرق بين العراق، والشام، وشمالي الجزيرة العربية فقد جعل منها واحدة من أهم مدن التجارة في الشرق الأدنى القديم، خلال الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي.

تقع تدمر على بعد ١٥٠ كيلاً شمال شرقي دمشق، وفي موقع متوسط بين الشام والعراق، وكانت من أهم المراكز التجارية في بلاد العرب قبل الإسلام؛ إذ تلتقي فيها القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية، والعراق، والشام، ومصر. وقد عثر في نقوش تدمر على عبارات مثل: «زعيم القافلة»، و«زعيم السوق»؛ ما يشير إلى المكانة الاقتصادية التي بلغتها (مهران ١٩٩٤: ٢/٤٠٦).

ويرجع أقدم نص كتابي ذكرت فيه تدمر إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، عثر عليه في (كول تبة – تلة الرماد) بالأناضول، وذكر فيه اسم (عشتار التدمري) (الأسعد ٢٠٠٦:: ٥٧)، وعثر في الأرشيف الملكي لمدينة ماري عاصمة الآموريين على نص ورد فيه ذكرت تدمر (علي ١٩٦٩: ٣/٨٠-٨١؛ مهران ١٩٩٤: ٢/٤٠٧؛ الأسعد ٢٠٠٦: ٨٥).

وورد ذكر تدمر في نقش آشوري مؤرخ في سنة ١١٠٠ ق. م، يعود إلى عهد الملك الآشوري تيجلات بليسر الأول؛ أما أقدم النقوش التدمرية فقد وجدت في مدينة دورا التي تقع بالقرب من تدمر، ويعود تاريخ تلك النقوش إلى سنة ٣٣ ق. م، وتعود أقدم النقوش التدمرية التي عثر عليها في تدمر إلى السنة التاسعة قبل الميلاد. واسم تدمر مشتق من الاسم الآرامي (تدمرتو أو تدمرتا)، ومعناه الأعجوبة، أو مشتق من اسم (دَمَرَ) أي المكان الحصين (علي ١٩٦٩: ٣/٨٠-٨١؛ مهران ١٩٩٤: ٢/٤٠٧؛ الأسعد ٢٠٠٦: ٨٥).

بدأت تدمر تظهر على مسرح الأحداث منذ النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد، وحافظت على استقلالها السياسي والاقتصادي بعيدًا عن سيطرة الرومان الذين بدأت محاولاتهم للاستيلاء عليها منذ سنة ٤١ ق. م على يد الامبراطور مارك أنطونيو الذي فشل في ذلك، لكن المحاولات الرومانية للسيطرة على تدمر تواصلت، فحاول الامبراطور تراجان (٩٨ – ١١٧م) ضم تدمر إلى حكمه، وبخاصة بعد أن تمكّن من إسقاط مملكة الأنباط سنة ١٠٦م، ثم تمكّن الامبراطور هدريان (١١٧ – ١٣٧م) من السيطرة على تدمر التي زارها سنة ١٣٠م؛ وتأكيدًا للسيطرة الرومانية أطلق عليها اسم هدريانا بالميرا، وهدريانوبوليس، وكانت تدمر قد حملت الاسم الأجنبي بالميرا: Palmyra الذي يعني النخيل منذ عهد الإسكندر الأكبر، لكن تدمر تحرّرت كثيرًا من السيطرة الرومانية في أوائل القرن الثالث الميلادي. (مهران ١٩٩٤: ٢/٤٠١).

وشهد منتصف القرن الثالث الميلادي ظهور أسرة أذينة التي ورد ذكرها في نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٢٣٥م، وورد فيه اسم (أذينة بن حيران بن وهب اللات بن نصر) الذي كان عضوًا في مجلس الشيوخ الروماني، وكان زعيم تدمر الذي تمكّن من توسيع تجارة المملكة وتثبيت حكم أسرته فيها (مهران ١٩٩٤: ٢/٤٠١).

وفي سنة ١٩٨٥م، اكتشف كل من: خالد الأسعد، وميشيل غابليكوفسكي. نقشًا في تدمر مكتوبًا بالخطين التدمري واليوناني جاء فيه: (لسبتيموس أذينة بن حيران بن وهب اللات بن نصور الأعظم والأشهر بين التدمريين)، والنقش مؤرخ في سنة ٢٥٢م (الأسعد ٢٠٠٦: ١٤٨).

وفي سنة ٢٦٠م، هُزِم الامبراطور الروماني فالريان على يد الفرس ووقع في أَسْرِهم، فجهّز الملك أذينة جيشًا تمكّن من هزيمة الفرس، وحاول فك أسر الامبراطور الروماني فمنحه الامبراطور جالينو (٢٦٠ – ٢٦٨م) في سنة ٢٦٢م لقب زعيم الشرق: Dux Orientis، وواصل أذينة حروبه ضد الفرس وتمكّن من محاصرة عاصمتهم طيسفون (المدائن) سنة ٢٦٤م، واستطاع في الوقت نفسه القضاء على عدة ثورات نشبت ضد الامبراطور جالينو الذي أنعم عليه بلقب آخر يشير إلى المكانة الرفيعة التي بلغها وهو: امبراطور جميع بلاد الشرق Imperator Totius Orientis، ولُقّب أيضًا بلقب ملك الملوك، وفي الوقت الذي كانت فيه قوة أذينة تزداد يومًا بعد يوم، قُتِلَ في ظروف غامضة وأُختُلِفَ في تاريخ وفاته ما بين سنة ٢٦٦م، أو سنة ٢٦٧م (علي ١٩٦٩: ١/٩٧-١٠١).

أنتقل مُلْك تدمر بعد مقتل أذنية إلى ابنه وهب اللات الذي عرف في المصادر اليونانية باسم أثنيودورس Athenodorus، ونظرًا لصغر سنه كفلته أمه الملكة زنوبيا وصارت وصية على العرش، والزباء عرفت في النقوش التدمرية باسم بيت زباي أي ابنة العطية، وعرفت في المصادر اليونانية باسم زنوبيا Zenobia (مهران ١٩٩٤: ٢/٤١٧).

تعد الرحالة البريطانية هستر ستانهوب أول أوروبية تزور تدمر وكان ذلك سنة ١٨١٣م، ثم تدفّق الرحالة الأوروبيون على تدمر، ومنهم الرحالة الروسي الأمير بمالك لازاريف الذي زار تدمر سنة ١٨٨١م، واكتشف اللوحة الحجرية التي نقش عليها القانون التجاري والمالي لمملكة تدمر، وقام لازاريف بنقل اللوحة إلى روسيا بموافقة السلطان العثماني عبدالحميد الثاني ولا تزال تعرض في متحف الهرميتاج بمدينة سان بطرسبرج، ويعد الرحالة التشيكي ألويس موسل من أشهر الرحالة الأوربيين الذين زاروا تدمر ومكثوا فيها مدة طويلة ما بين سنتي ١٩٠٨ – ١٩١٢م (الأسعد ٢٠٠٦: ٢٨-٣٠).

بدأت التنقيبات الأثرية في تدمر على يد الآثاري الدانمركي يوهانس أستروب، ومواطنه هارالد أنغولت سنة ١٨٩٣م، ومنذ مطلع القرن العشرين الميلادي وحتى

اليوم عملت في تدمر العديد من البعثات الأثرية من أوروبا واليابان، وشارك الآثاريون العرب في التنقيب عن آثار تدمر منذ سنة ١٩٣٦م، ويأتي في مقدمتهم: جعفر الحسني، وسليم عبدالحق (١٩٣٦ – ١٩٥٥م)، وعدنان البني، ونسيب صليبي، وعبيد طه، وخالد الأسعد، وربيع دهمان، وصالح طه (١٩٥٥ – ١٩٧٠م)؛ ثم أشرف خالد الأسعد على التنقيبات الأثرية في تدمر في الفترة ما بين سنتي (١٩٧٠ – ٢٠٠٣م) (الأسعد ٢٠٠٦: ٣٣-٣٤)، ويعتمد هذا البحث على المسكوكات التي اكتشفت في تدمر خلال هذه الفترة.

المسكوكات

بدأ تداول المسكوكات الإغريقية في جنوبي الجزيرة العربية منذ أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وضربت أقدم المسكوكات العربية على نمط المسكوكات الإغريقية، وبخاصة الطراز المعروف بمسكوكات أثينا، التي يرجع تاريخ ضرب النماذج المبكرة منها في بلاد الإغريق إلى نحو سنة ٥٧٥ ق. م؛ وكان ينقش على وجه تلك النماذج رأس المعبودة أثينا مُرتدية خوذة مُزيَّنة من الأمام بغصن زيتون تتدلى منه ثلاث ورقات، وشعرها مربوط بعصابة، ونقش على الظهر بومة متجهة إلى اليمين وخلفها غصن زيتون (يوسف ٢٠٠٢: ٧٦-٧٧)

وفي شمالي الجزيرة العربية كانت مملكة الأنباط أول مملكة عربية تضرب المسكوكات، وذلك في عهد الملك حارثة الثاني (١٢٠ – ٩٦ ق. م)، كما ضربت المسكوكات في ممالك تدمر، والحضر، والرها؛ أما في شرقي الجزيرة العربية التي أسس سكانها حكومات عرفت باسم ممالك المدن، منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، فقد ضربت حكومات تلك المدن المسكوكات، وكان أغلبها متأثراً بمسكوكات الإسكندر الأكبر، ثم السلوقيين، الذين امتد نفوذهم إلى شرق الجزيرة العربية؛ أما في الأجزاء الشمالية من شرقي الجزيرة العربية، فقد قامت مملكة ميسان التي ضربت المسكوكات منذ عهد الملك هايسباوسنيس (١٢٥ – ١٢٤ق. م) (يوسف ٢٠٠٢: ٧٦-٧٧؛ يوسف ٢٠٠٧: ١٦).

يتجلى أثر البيئة الصحراوية على اقتصاد تدمر الذي حفّزها لاستلهام ثقافة عصرها؛ فتشربت اللغات الأجنبية التي كانت تسوق بها تجارتها، ما جعلها وكأنها ليست وسط صحراء قاحلة، وذلك من خلال قيامها بضرب مسكوكات محلية في تدمر، تستخدم للتداول المحلي. أما المسكوكات التي تستخدم للتجارة الدولية فقد ضربت خارج تدمر، في كل من: أنطاكية، وحمص، والإسكندرية؛ وقد سجلت الكتابات على المسكوكات المضروبة في أنطاكية، وحمص بالخط اللاتيني، أما المسكوكات المضروبة في الإسكندرية فقد سجلت كتاباتها بالخط اليوناني؛ وهكذا دفعها شعورها ببعد المكان إلى الاقتراب من الأماكن الحضرية، بل بطموحها استطاعت الخروج والانفتاح على العالم والاستيلاء على مدن في بلاد الشام، ثم استولت على مصر، وترجع كل المسكوكات المعروفة لمملكة تدمر حتى الآن إلى عهد الملكة زنوبيا، وابنها الملك وهب اللات (Morgan 1979: 229).

أولاً: المسكوكات المضروبة في أنطاكية وحمص:

ضربت المسكوكات التدمرية في أنطاكية وحمص وسجلت عليها الكتابات بالخط اللاتيني، ونقش عليها صورة الملكة زنوبيا، وابنها الملك وهب اللات، ومن المسكوكات التدمرية المضروبة في أنطاكية وحمص:

١ – مسكوكة نقش على وجهها صورة نصفية للملكة زنوبيا متجهة إلى اليمين، وكتب حولها الرمز الخاص بها وهو: CEΠTIMIA. ZHNOBIA. CEB، وعلى الظهر صورة امرأة واقفة ترمز للمعبودة الرومانية فيكتوريا (Morgan ١٩٧٩: ٢٣٠) (اللوحة: ١).

٢ – مسكوكة نقش على وجهها صورة نصفية للملكة زنوبيا، والامبراطور أورليان، ونقش على ظهرها شجرة نخيل رمز تدمر (Morgan ١٩٧٩: ٢٢٩) (اللوحة: ٢).

٣ – مسكوكة نقش على وجهها صورة نصفية للملكة زنوبيا متجهة إلى اليمين، وسجل حول الصورة رمزها:CEΠTIMIA. ZHNOBIA. CEB، وعلى الظهر صورة نصفية للمعبود القمر Diane، ونقش أسفل ذراعه اليمنى والحرفان L. E ويحمل في يده اليسرى قرني الرخاء (الشكل: ١).

٤ – مسكوكة فضية نقش بها على الوجه صورة نصفية

اللوحة ١: مسكوكة نقش على الوجه صورة نصفية للملكة زنوبيا وعلى الظهر المعبودة فكتوريا.

اللوحة ٢: النخلة رمز تدمر من معبد بعل

الشكل ١: رسم تخطيطي لمسكوكة في الوجه صورة نصفية للملكة زنوبيا وعلى الظهر صورة للمعبود القمر.

للامبراطور أورليان، وعلى الظهر صورة نصفية للملك وهب اللات وحوله كتابة بالخط اللاتيني تتضمن ألقابه، ومنها لقب الامبراطور Imperator ؛ ما جعله في منزلة واحدة مع الامبراطور أورليان (الأسعد ٢٠٠٦: ١٩٩؛ Morgan 1979: 229)

ثانيًا: المسكوكات المضروبة في الإسكندرية

أما المسكوكات التدمرية التي ضربت بالإسكندرية، فقد نقشت عليها صورة نصفية لكل من الملك وهب اللات، والامبراطور الروماني أورليان Aurelianus، ونقش عليها اسم الامبراطور ولقبه Augustus، ولقب الملك وهب اللات:

Vir Clarissimus Rex Imperator Dux Romanorum، أو صورة نصفية للملكة زنوبيا (Morgan 1979: 230)، وضربت المسكوكات التدمرية في الإسكندرية في الفترة ما بين ٢٧٠ - ٢٧١م (علي ١٩٦٩: ١/١١٧).

١- مسكوكة نُقشت على وجهها صورة نصفية للملك وهب اللات وعلى رأسه التاج وهو متجه إلى اليمين، وسجل حول الصورة اسمه بالخط اليوناني: I MP. C. Vabalathvs. AVG.. ونقشت على الظهر صورة المعبودة الرومانية فيكتوريا متجهة إلى اليسار وبيدها اليمنى تاج وبيدها اليسرى جريد النخل، وكتب حولها بالخط اليوناني: Victoria. AVG (Morgan 1979: 231) (الشكل: ٢).

٢ - مسكوكة نُقشت على وجهها صورة نصفية للملك وهب اللات، وعلى الظهر زخرفة قرون الرخاء المتقاطعة في الوسط وحولها غصنا زيتون (Morgan 1979:232)، وقد ظهرت زخرفة قرون الرخاء المتقاطعة من قبل على المسكوكات النبطية منذ عهد الملك مالك الأول(٥٩ – ٣٠ ق. م) (يوسف ٢٠٠٦: ٢٧).

٣ – مسكوكة نُقشت على وجهها صورة نصفية لكل من الامبراطور أورليان والملك وهب اللات، وحولهما كتابة بالخط اليوناني، وعلى الظهر زخرفة قرون الرخاء (الأسعد ٢٠٠٦: ١٩٦) (اللوحة: ٣).

٤ - وضربت في الإسكندرية مسكوكات نُقشت على وجهها صورة نصفية للملك وهب اللات متجه إلى اليمين

وكُتبت حولها عبارة بالخط اليوناني نصها: (أورليوي أوياتيوس سبتيموس وهب اللات أثينادوروس هيباتوس أوتو كراتور استراتيجوس روميون)، ونُقشت على الظهر صورة نصفية للامبراطور الروماني أورليان متجهاً إلى اليمين، وكُتبت حولها عبارة بالخط اليوناني نصها: (الأتوكراتور الامبراطور لوكيوس أورليوس سيباستوس) (الأسعد ١٩٧-١٩٧)، (الشكل: ٣، اللوحات: ٤-٨).

٥ - وضُربت في الإسكندرية مسكوكات نُقشت على وجهها صورة نصفية للملكة زنوبيا، وكتبت حولها كتابة بالخط اليوناني: ZHNOBIA. AVG (اللوحتان: ٩، ١٠).

كان للمسكوكات دور مهم في الصراع الذي دار بين مملكة تدمر والرومان، وكانت الملكة زنوبيا قد انتهزت فرصة النزاعات الداخلية في روما فأحكمت سيطرتها على سورية ثم استولت على مصر سنة ٢٧٠م، ووقعت اتفاقًا مع الرومان يقضي بأن يكون حكم مصر مشتركًا بين الرومان ومملكة تدمر، واستمر هذا الاتفاق خلال عهد الامبراطور كلوديوس وخلفه أورليان (٢٧٠ - ٢٧٥م)، ويتجلّى هذا

الشكل ٢: رسم تخطيطي لمسكوكة في الوجه صورة نصفية للملك وهب اللات، وفي الظهر صورة للمعبودة فيكتوريا (Morgan 1979:231)

الشكل ٣: رسم تخطيطي لمسكوكة في الوجه صورة نصفية للملك وهب اللات وفي الظهر صورة نصفية للإمبراطور أورليان (Morgan 1979:231)

اللوحة ٥: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للإمبراطور أورليان

اللوحة ٣: مسكوكة على الوجه صورة نصفية لكل من: الملك وهب اللات، والإمبراطور أورليان، وعلى الظهر قرون الرخاء.

اللوحة ٤: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للإمبراطور أورليان

اللوحة ٦: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للملك وهب اللات

اللوحة ٧: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للملك وهب اللات

اللوحة ٨: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للملك وهب اللات

اللوحة ٩: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للملكة زنوبيا

اللوحة ١٠: وجه مسكوكة عليه صورة نصفية للملكة زنوبيا

الاتفاق في نقوش المسكوكات التدمرية التي ضربت في الإسكندرية.

ولكن العلاقات بين الرومان ومملكة تدمر ما لبثت أن تدهورت؛ فأقدمت الملكة زنوبيا على حذف صورة الامبراطور أورليان واسمه ولقبه من المسكوكات التدمرية المضروبة في الإسكندرية، واكتفت بنقش صورة ابنها الملك وهب اللات فقط؛ وإمعانًا في تحدّي الرومان نقشت على المسكوكات لقب ابنها (ملك الملوك)، ما أثار حفيظة الرومان، وكان ذلك من الأسباب التي دعت إلى قيام الرومان باحتلال تدمر سنة ٢٧٣م (علي ١٩٦٩: ١/ ٨٥).

وفي الفترة الأخيرة من حكم الملك وهب اللات، ضربت مسكوكات في كل من: الإسكندرية، وأنطاكية، وحمص، نُقشت عليها صورة الملك وهب اللات مع لقبي (الامبراطور والأوغسست)، وصورة الملكة زنوبيا مع لقبي (الأوغستا والمعظمة)؛ ومن هذه المسكوكات مسكوكة ضرب حمص، نُقشت على وجهها صورة نصفية للملكة زنوبيا وهي ترتدي اللباس العسكري والخوذة، وكتبت حولها عبارة بالخط اللاتيني نصها: (سبتيميا زنوبيا أوغستا)، أما ظهر المسكوكة فمطموس، والمسكوكة محفوظة في متحف تدمر (الأسعد ٢٠٠٦: ١٩٩).

يعود تسجيل الخط اللاتيني على المسكوكات المضروبة في أنطاكية وحمص إلى أن هاتين المدينتين من المدن التي كانت خاضعة للحكم الروماني، وكانتا من مراكز ضرب المسكوكات الرومانية. أما انتشار الخط اليوناني على المسكوكات المضروبة في الإسكندرية فيرجع السبب وراء ذلك إلى الاحتكاك المباشر بين مملكة تدمر والرومان؛ فقد سيطرت تدمر على مصر التي كانت تابعة للحكم الروماني، وضربت بالاشتراك مع الرومان المسكوكات في الإسكندرية التي كانت إغريقية الثقافة.

ونُقشت على المسكوكات التدمرية رموز لمعبودات تدمرية ورومانية. ومن الرموز التي نقشت على المسكوكات التدمرية أشجار النخيل التي ترمز إلى تدمر، التي عرفت بالاسم الأجنبي بالميرا Palmyra الذي يعني مدينة النخيل وعرفت به المدينة منذ عهد الإسكندر الأكبر لِما اشتهرت به المدينة من كثرة أشجار النخيل، كما نُقشت على بعض المسكوكات التدمرية صور بعض المعبودات الرومانية (علي ١٩٦٩: ١/ ٨٥).

ثالثًا: المسكوكات المضروبة في تدمر

وإلى جانب المسكوكات المضروبة في أنطاكية، وحمص، والإسكندرية. عُثر في تدمر على مجموعة كبيرة من المسكوكات الفضية، وهي نوعان:

النوع الأول: لم تسجل عليه كتابات، ونُقشت على الوجه صورة نصفية للملك (أذينة) أو الملك (وهب اللات)، وعلى الظهر: قرون الرخاء، أو أسد، أو ثور، أو عنز، أو نخلة، أو قوس النصر (الشكل: ٤)، ويرى بعض علماء المسكوكات الذين درسوا مسكوكات مملكة تدمر أن هذه المسكوكات ضربت في عهد الملك أذينة، بينما يرى أغلبهم أنها قد ضربت في عهد ابنه الملك وهب اللات (Morgan 1979: 232).

النوع الثاني: سُجلت عليه كتابة تتضمن اسم تدمر Palmyra وبجواره رمز المدينة. وهو عبارة عن صورة كاملة صورة شخص واقف له جناحان ويحمل في يده اليمنى ميزان بكفتين، ويدل رسم الميزان على معرفة التدمريين بالموازين واستعمالها (Morgan 1979: 232) (الشكل: ٥).

عرفت الممالك العربية المكايبل والموازين، ففي شمالي الجزيرة العربية عرف أهل مدين المكايبل والموازين، وورد ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (الأعراف: ٨٥)، وقال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (هود: ٨٤ – ٨٥)، وتدل هذه الآيات على استخدام أهل مدين المكايبل والموازين وقد نهاهم الله سبحانه وتعالى عن الغش وبَخس حقوق الناس في البيع والشراء والالتزام بالأمانة (سلامة ٢٠٠٠: ٢٨٣).

وفي جنوبي الجزيرة العربية، أشارت النقوش إلى العديد من المكايبل والموازين مثل: (دلو، مدلت)، ومعناها: وزن

الشكل ٤: رسم تخطيطي لمسكوكة في الوجه صورة نصفية للملك وهب اللات وفي الظهر قرون الرخاء (Morgan 1979:232)

الشكل ٥: رسم تخطيطي لمسكوكة سجل عليها اسم تدمر (Morgan 1979: 232).

أو وزنة أو قيمة، و(عسيم)، ومعناها: وحدة وزن (البريهي ٢٠٠٠: ٢٨٠-٢٨١).

كما كشفت الحفريات التي أُجريت في العديد من مواقع عواصم ممالك جنوبي الجزيرة العربية عن معرفة العرب التامة بالمكايبل والموازين؛ فقد عُثر على وزنة (صنجة) أسطوانية من المرمر يبلغ ارتفاعها ٧سم وقطرها ٦سم في موقع تمنع عاصمة مملكة قتبان، ويرجع تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد، ونُقش عليها نص بخط المسند، والوزنة محفوظة في متحف عدن (غلانزمان ١٩٩٩: ١١٢).

وكشفت التنقيبات في قرية ذات كهل (الفاو) عاصمة مملكة كندة عن صنجة مكعبة من النحاس، يعلوها مقبض نصف دائري، ولها أربعة أرجل، ويوجد بأسفلها تجويف مملوء بالرصاص، ونقشت عليها كتابات بخط المسند، وتزن الصنجة ٤ كيلو جرام (الأنصاري ١٩٨٢: ٢٨).

وفي الحضر عُثر على ميزان لكل من كفّتيه أربعة ثقوب لتعليقها برأس الحامل، وللحامل ثلاث حلقات، الوسطى منها لرفع الميزان أثناء إجراء الوزن (سفر ١٩٧٤: ١٧٥)

علاقات تدمر التجارية

ارتبطت تدمر بعلاقات تجارية وثيقة مع الممالك العربية في جنوبي الجزيرة العربية وشماليها، وكانت لها علاقات تجارية خاصة ووثيقة مع مملكة ميسان (١٢٩ ق. م – ٢٢٣/٢٢٢م)، وكانت تجارة تدمر مع الخليج العربي والهند تمر عبر موانىء مملكة ميسان مثل: كراكس، وفرات؛ وعُثر في ميسان على العديد من النقوش التي تشير إلى التجار التدمريين المقيمين في ميسان والمارين بها، ومنها نقش تدمري مؤرخ في سنة ١٩م يتحدث عن التجار التدمريين في ميسان. وأقام التجار التدمريون المقيمون في ميسان نصبًا تذكريًا على شرف أحدهم، وجاء في النقش المصاحب للنصب والمؤرخ في سنة ١٣١هـ: (على شرف التدمري يرحي التدمري من مواطني تدمر الهادريانية)، وهناك نقش آخر عُثر عليه في ميسان وهو مؤرخ في سنة ١٤٢م ومكتوب بالخطين التدمري واليوناني ويتحدث عن تكريم أحد التجار التدمريين ويدعى (نيشا) الذي كان قائدًا لإحدى القوافل، وكرّمه تجار تدمريون لأنه ساعدهم في الرحلة من ميناء فرات إلى فولوغيسياس، وتم تكريم (نيشا) مرة أخرى في نقش مؤرخ في سنة ١٥٠م (الأسعد ٢٠٠٦: ٨٢).

ومن قادة القوافل الذين ذكرتهم النقوش التدمرية في ميسان (تيم أرصو) الذي كرّمه تجار تدمر وأهدوه تمثالاً تقديرًا لما قدّمه من خدمات؛ فقد جاء في نقش سُجِّل بالخطين التدمري واليوناني ومؤرخ في سنة ١٩٣م ما يأتي: (تيم أرصو قد كرم بتمثال نصفي لأنه أنفق ٣٠٠ دينار ذهبي على القافلة لسد نفقات السفر) (الأسعد ٢٠٠٦: ٨٢).

ومن الأدلة على العلاقات التجارية الوثيقة بين الممالك العربية أنه عثر في معبد المقه بصرواح على نقش مكتوب بالخطين المسند والنبطي، والنقش مؤرخ في السنة الثالثة لحكم الملك النبطي حارثة الرابع (السنة السادسة قبل الميلاد)، ونص النقش بالخط النبطي كما يأتي: (هذان هما الشاهد والقاعدة اللذان أقامهما تيمو بن كوشاي بن تيمو لذو الشرى في صرواح في شهر طبت في العام الثالث لحكم حارثة ملك الأنباط محب شعبه) (يوسف ٢٠٠٦: ٥١-٥٢).

ومن المحتمل أن يكون تيمو بن كوشاي ممثلاً تجاريًا لمملكة الأنباط لدى مملكة سبأ، وهذا ليس بالشيء المستغرب في العلاقات التي كانت تربط بين الممالك العربية في شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها؛ فقد أقدمت مملكة معين على وضع جاليات أو ممثليات تجارية كانت تقيم في دادان (العلا)، وقد أكدت الدراسات التي أجريت على النقوش المعينية أن الوجود المعيني في دادان (العلا) لم يكن إلا من خلال العلاقات التجارية بين مملكة معين ومملكة دادان ولحيان، إذ كان الوجود المعيني يتمثل في جالية تجارية تشرف على التجارة القادمة من بلادها في الجنوب في طريقها إلى الشمال، وكان لهذه الجالية رئيس مسؤول أمام الملك اللحياني عن سلوك التجار المعينين المقيمين في دادان (العلا)، وممارساتهم، وجباية الضرائب منهم (الأنصاري ٢٠٠٢: ٢١-٢٢).

قانون تدمر التجاري والمالي

وكان لمملكة تدمر قانون مالي صدر في الثامن عشر من نيسان (أبريل) سنة ١٣٧م، وجاء في ديباجة القانون: (قرار مجلس الشيوخ في الثامن عشر من نيسان عام ٤٤٨ (١٨ نيسان ١٣٧م). برئاسة بونا بن حيران وأمانة سر: الكسندر ابن الكسندر بن فيلوباتور أمين مجلس الشيوخ والشعب وولاية الأراخنة. مالك بن علي بونا مقيم وزبيد بن نسا. مجلس الشيوخ المجتمع في جلسة عادية قرر ما هو مرقوم أدناه: لما كانت سلع عديدة في الأزمنة السابقة خاضعة للرسوم، غير مسجلة في القانون المالي، وتجبى الرسوم عليها وفقًا للعُرف والعادة ... قرر مجلس الشيوخ أن يقوم الشيوخ المكلفون بالسلطة الإجرائية وأعضاء مجلس العشرة بإحصاء كل ما هو غير مذكور في القانون المالي، وأن يسجل في العقد الجديد وأن يوضع أمام كل سلعة الرسم الذي يجبى عنها في العادة، فإذا أقر العقد من قبل متعهد الجباية ينقش مع القانون القديم على اللوحة القائمة أمام معبد رب آسيري، والشيوخ المكلفون بالسلطة الإجرائية وأعضاء العشرة ووكلاء السلطة القضائية عليهم أن يحولوا دون أن يكلف متعهد الجباية من أحد أكثر من المنصوص عنه...) (البني ١٩٧٨: ٢٣٩-٢٥٨؛ راشد ١٩٩٤: ١٧).

ويتضح من النص السابق أن هذا لم يكن القانون المالي

الأول لتدمر، بل جاء هذا القانون ليدخل تعديلات على قانون سابق، ونظمت بنود قانون تدمر المالي الضرائب المفروضة على جميع أنواع التجارة في المملكة؛ فقد حدد القانون الضرائب التي تجبى من ثمان وعشرين نوعًا من أنواع التجارة، كما نظم قانون تدمر المالي جباية الجمارك المفروضة على التجارة المارة بالمملكة، ويوضّح القانون مدى التطور الاقتصادي والإداري الذي بلغته مملكة تدمر.

وبذلك سارت مملكة تدمر على نهج الممالك العربية التي كان لها قوانينها التجارية الخاصة، وكما كانت مملكة قتبان رائدة في ضرب المسكوكات، فقد كانت رائدة في تشريع القوانين التجارية والاقتصادية التي تنظم التجارة داخل المملكة مع الممالك العربية والممالك المجاورة، وتتمثل ريادة مملكة قتبان (قانون تمنع التجاري) الذي كان يهدف إلى تنظيم التجارة في العاصمة تمنع وكافة أجزاء المملكة القتبانية، وقد أشار القانون إلى المسكوكات على النحو الآتي: «مَن حاول الغش وكرر ذلك على أخيه التاجر عليه دفع غرامة قدرها ٥٠ قطعة ذهبية»، ويشير ذلك إلى المسكوكات الذهبية التي ضربت في (حريب) خلال عهد كل من: «يدع أب ينوف» (٢٦٠ – ٢٥٠ق. م)، و«شهر هلال بن ذر أكرب» (٩٠ – ٧٠ ق. م)، و«ورو إل غيلان» (٨٠ – ٦٥ق. م) (البكر ١٩٨٠: ٣٩٧؛ بافقيه ١٩٨٥: ٣٥؛ النعيم ٢٠٠٠: ٦٤٥-٦٥٦).

د. فرج الله أحمد يوسف: دار القوافل – الرياض – المملكة العربية السعودية. farajyousef@hotmail. com

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الأسعد، خالد؛ وفيين. أوفه ويدبرغ – هانسن ٢٠٠٦، **زنوبيا ملكة تدمر والشرق**، (الطبعة الأولى، دمشق)..

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب١٩٨٢، **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية** (الرياض).

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب؛ وحسين علي أبو الحسن ٢٠٠٢، **العلا ومدائن صالح – حضارة مدينتين (سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور «١»** – دار القوافل للنشر التوزيع، الرياض).

بافقيه، محمد عبدالقادر ١٩٨٥، **تاريخ اليمن القديم** (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت).

البريهي، إبراهيم ناصر ٢٠٠٠، **الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي** (الرياض)..

البكر، منذر عبدالكريم ١٩٨٠، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام – تاريخ الدول الجنوبية في اليمن** (جامعة البصرة).

البني، عدنان ١٩٧٨، **تدمر والتدمريون** (دمشق).

راشد، سيد فرج ١٩٩٤، **الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي** (القاهرة).

سفر، فؤاد؛ ومحمد على مصطفى ١٩٧٤، **الحضر مدينة الشمس** (بغداد).

سلامة، عواطف أديب ٢٠٠٠، **أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠ – ١١٠٠ ق. م** (الرياض).

علي، جواد ١٩٦٩، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (الطبعة الأولى، بيروت).

غلانزمان، وليام ١٩٩٩، «تمنع عاصمة قتبان»، ص ص ١١٠ – ١١٢ (**اليمن في بلاد ملكة سبأ** – ترجمة بدر الدين عردوكي – معهد العالم العربي – باريس، ودار الأهالي – دمشق).

مهران محمد بيومي ١٩٩٤، **تاريخ العرب القديم** (الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الحادية عشرة، الإسكندرية).

النعيم، نورة عبدالله ٢٠٠٠، **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير** (مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض).

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٢، «مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام»، ص ص ٧٣ – ١٠٢ (**أدوماتو**، العدد الخامس ذو القعدة ١٤٢٣هـ/يناير ٢٠٠٢م).

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٦، **مسكوكات مملكة الأنباط** (الطبعة الأولى، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض).

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٧، «مسكوكات من شرقي الجزيرة العربية قبل الإسلام»، ص ص ٧ – ٥٣ (**العصور**، المجلد السابع عشر، الجزء الأول ذو الحجة ١٤٢٧هـ/يناير ٢٠٠٧م).

ثانياً: المراجع غير العربية

Morgan, J1979. **Manual de Numismatique Orientale L›antiquité et du Moyen Age** (Chicago)